

أنوار كاشفة سلسلة من يقول الناس إنني أنا؟ الحلقة الثالثة عشرة

الذي رأني فقد رأى الآب

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع في لقاء اليوم حديثنا عن حقيقة شخصية المخلص المسيح، وإن كان هو مجرد نبي كباقي الأنبياء أم شخصية مختلفة؟

وكنا قد تحدثنا عن عدة عجائب قام بها المسيح تؤكد حقيقة شخصيته الإلهية. كعجبية إقامته للعازر من القبر، وشفائه للرجل المقعد، وللرجل الذي ولد أعمى، وإطعامه للجموع الغفيرة، وأيضاً عدم إدانته للمرأة الزانية. وقد رافقت هذه العجائب تصريحات هامة للمسيح، تؤكد أنه كلمة الله الأزلي المتجسد، وابن الله الوحيد. كقوله: أنا هو القيامة والحياة، أنا هو نور العالم، أنا هو خبز الحياة، أنا هو الباب، أنا هو الراعي الصالح.

وفي اللقاء الماضي بدأنا التأمل بتصريحات جديدة للمسيح لتلاميذه، دعاهم فيها أن لا يضطربوا، وأعلن لهم أنه ذاهب ليعود لهم المكان. وكان يقصد أنه ذاهب إلى الصليب لكي يفدي الإنسان، ويدخله إلى ملكوت الله. وجواباً عن سؤال التلميذ توما إلى المسيح عن الطريق، قال له المسيح: أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي. أي هو الطريق الوحيد لنوال الخلاص، ومعرفة الله الآب الحق.

نتابع اليوم التأمل بإجابة المسيح إلى توما، إذ أضاف المسيح قائلاً: "لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً. ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه." (بشارة يوحنا ١٤: ٧) فماذا قصد المخلص المسيح بهذا التصريح الهام؟ للإجابة نقول: بما أن المسيح هو الطريق الوحيد لمعرفة الله الآب، فإن هذا يعني أن من يؤمن بالمسيح المخلص وبموته الكفاري على الصليب، لا بد له أن يعرف الله الآب، إذ تصبح له شركة روحية معه. وليس هذا فحسب، بل يستطيع عندها أن يرى الله الآب، أي يراه روحياً، بأن يلمس مجده وبهائه وقداسته. فكلما اقترب الإنسان المؤمن من الله، عن طريق دراسة كلمة الله والصلاة، لاكتشف المزيد والمزيد عن الله الآب.

لكن تصريح المسيح هذا أثار سؤالاً آخر وجهه هذه المرة التلميذ فيلبس، إذ قال للمسيح: "يا سيّد أرنا الآب وكفانا. قال له يسوع: أنا معكم زماناً هذه مدّته ولم تعرفني يا فيلبس. الذي رأني فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب." (بشارة يوحنا ١٤: ٨ و٩) كان فيلبس محقاً في طلبه بأن يرى الله الآب. ولعل هذا هو هدف الإنسان منذ القديم أن يكتشف الله الخالق ويعرفه ويراه. لكن كما

هو معروف فإن الله روح، ولا يستطيع أحد أن يراه. وفي المقابل إن المخلص المسيح هو الصورة المنظورة الملموسة لله غير المنظور، وهو الاستعلان الكامل لله. فالمسيح كونه كلمة الله الأزلي المتجسد، هو صورة الله غير المنظور، الذي أعلن مجد الله للبشر جميعا.

وعلى هذا الأساس إن من يعرف الرب يسوع المسيح عن طريق الإيمان، لا بد له أن يكتشف الله ويعرفه. إن الباحث عن الله عليه أن يعرف المسيح المخلص ويؤمن به، وعندها يكتشف الله ويعرفه حق المعرفة. ولهذا قال المسيح هنا لفيلبس أن من رأي فقد رأى الله الآب. وهذا ينطبق علينا نحن اليوم، فعندما نؤمن بالمسيح، أي نراه عن طريق الإيمان، سنرى الله الآب ونعرفه حق المعرفة.

ثم تابع المسيح كلامه لفيلبس قائلا: "ألست تؤمن أنني أنا في الآب والآب فيّ. الكلام الذي أكلّمكم به لست أتكلّم به من نفسي لكن الآب الحالّ فيّ هو يعمل الأعمال. صدقوني أنني في الآب والآب فيّ. وإلا فصدقوني لسبب الأعمال نفسها." (بشارة يوحنا ١٠: ١ و ١١)

لقد كشف المسيح هنا حقيقة هامة لتلاميذه، وهي اتحاده بالله الآب. وهذا يؤكد الاتحاد الكامل بين المسيح وكلمة الله الأزلي والله الآب في الجوهر والطبيعة. وهو سر قد يصعب على عقولنا البشرية إدراكه. وعندما تجسّد الكلمة الأزلي وصار إنسانا، كان يحمل الطبيعتين الإلهية والبشرية في كيان واحد. ولهذا قال المسيح أنه في الآب والآب فيّ. وقد برهن المسيح على صحة إدعاءاته بكلامه الإلهي الباهر وأعماله العجائبية. ولهذا قال لتلاميذه أنه لا يتكلم من نفسه لكن الآب الحالّ فيه هو الذي يتكلم من خلاله، ويعمل هذه الأعمال. أجل مستمعي، ألا تؤكد أقوال المسيح الإلهية السامية وأعماله العجائبية الباهرة أنه لم يكن مجرد نبي عادي؟

ثم تحدث المسيح لتلاميذه عن المعزي الروح القدس الذي سيرسله الله الآب إليهم ويمكث فيهم إلى الأبد. ثم أضاف قائلا: "لا أترككم يتامى إنني آتي إليكم. بعد قليل لا يراني العالم أيضا وأما أنتم فترونني. إنني أنا حي فأنتم ستحيون." (بشارة يوحنا ١٨: ١ و ١٩) كشف المسيح هنا لتلاميذه عن حقيقة هامة أخرى، فهو سيرسل لهم الروح القدس لكي يسكن في قلوبهم. والروح القدس هو الكائن المتحد في الجوهر مع الله الآب والكلمة الأزلي. ولهذا لم يكن غريبا أن يقول المسيح أنه لن يترك تلاميذه يتامى بل سيأتي إليهم. أي سيأتي إليهم من خلال الروح القدس. فهو أي المسيح في اتحاد كامل ليس مع الله الآب فحسب، بل أيضا مع الروح القدس.

وهذا تأكيد آخر على ميزة شخصية المسيح، وأنه ليس شخصا كباقي الأنبياء والرسل. وعندما يأتي المسيح إليهم من خلال الروح القدس فسيروه بالإيمان. وبما أنه حي فهم سيحيون أيضا، أي سيحيون روحيا. وهذا الذي حصل فعلا، إذ بعد قيامته من القبر، صعد المسيح حيا إلى السماء. وبعد صعوده بعشرة أيام فقط أرسل الروح القدس لتلاميذه. وعندئذ أدرك التلاميذ كل الحقائق الروحية، ولمسوا حقا أن المسيح هو حي فيهم.

ثم أضاف المسيح قائلا لتلاميذه: " في ذلك اليوم تعلمون أنني أنا في أبي وأنتم فيّ وأنا فيكم. الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني. والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه وأظهر له ذاتي." (بشارة يوحنا ١٤: ٢٠ و ٢١) عندما حلّ الروح القدس على التلاميذ انكشفت أمام أعينهم كل الحقائق الروحية، وأدركوا الاتحاد الكامل بين الله الأب والمسيح كلمته الأزلي. لا بل صار هناك إتحاد روحي بينهم وبين المسيح مخلصهم. وهنا وعد المسيح أيضا كل من يؤمن به، أنه سيظهر له ذاته ويحبه، وأن الله الأب سيحبه أيضا. وهذا وعد مجيد لنا جميعا، أنه إذا آمننا بالمخلص المسيح، فسننال الخلاص الكامل ورضى الله علينا.

وهنا استغرب التلميذ يهوذا، ليس الذي أسلمه، قائلا: " يا سيد ماذا حدث حتى إنك مزعم أن تظهر ذاتك لنا وليس للعالم. أجابه المسيح: إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلا." (بشارة يوحنا ١٤: ٢٢ و ٢٣) كان التلاميذ يتوقعون أن يقيم المسيح مملكة أرضية، ولهذا استغربوا قوله أنه لن يعلن ذاته للعالم أجمع. لكن المسيح كشف لهم أن ملكوته هو ملكوت روحي يملك على قلوب البشر.

إن من يحب المسيح ويحفظ كلامه، أي من يؤمن به سينال محبة الله الأب ورضاه. وليس هذا فحسب بل يصبح جسده هيكلًا للروح القدس، ويملك على كيانه الله الأب مع المسيح. هل تود مستمعي أن يملك الله على حياتك؟ وأن يصبح كيالك منزلا لله الأب والمسيح والروح القدس؟ وهل هناك أعظم من أن يسكن الله في قلبك، ويصبح هو مرشدك وقائدك؟